الصَدْيق الدَائِم

القرص بيتوى كامل

كتيب صغير بين يديك ، ولكنه مملوء بالاختبارات الروحية . إنه مرآة لحياتنا مع أنفسنا ومعاملاتنا مع الآخرين . هذه الحياة التي يصحبها أحياناً النجاح وأحياناً الفشل وأحياناً الانحراف ...

... ويقف الإنسان في وسط هذه الأمواج المتخبطة ينشد بر الأمان ورضاء الله .

ولكن سرعان ما يكشف لنا هذا الكتيب عن وجود صديق دائم لا يحبنا فقط ونحن قديسين ، بل بالأكثر ونحن خطاة - لأنه أب .

وعن طريق تعاملنا مع هذا الصديق الدائم ، نستطيع أن نحدد مسار تعاملنا مع الآخرين . كذلك عن طريق هذا الصديق الدائم نستطيع أن نعالج مواضيع النجاح والفشل واليأس ... الخ في حياتنا .

إن هذا الكتيب يحتاج للقراءة والتطبيق مرات عديدة . الله يجعله بركة لكل أحد اختار أن يكون يسوع صديقاً دائماً له ، وأن يبارك السيدة/ ليزيس ميخائيل أسعد التي تعبت في ترجمته آمين؟

عيد السيدة العذراء - حالة الحديد
٢١ - ١٩٧٧/٦/٢٨ بؤونه

القمص بيشوى كامل

الصديق الدائم

مقدمة :

عالم اليوم لم يتغير عن عالم الأمس ، هو عالم مجنون - مجنون باهتمامات الجسد ، وشهوة العيون وتعظم المعيشة .

وانسان هذا العالم يبحث عن السعادة دون جدوى. فأطماعه لا تعدو أن تكون مجرد قشور سوف تتساقط بمرور الأيام . والعجيب أن الإنسان ينمو فى السن والعمر ولكن حبته للعالم تجعله يبقى كالطفل الذى يلعب بأشياء لا قيمة لها وعندما تضيع منه هذه الأشياء يغضب ويبكى وأحياناً يلعن الله نفسه لأن شباءه قد أعمى عينيه. ولكن لو علم الإنسان أن السعادة هى فى الله وحده الدائم الذى لا يزول لو علم ذلك لطلب الله بكل جرأة .

ولكن للأسف فإنسان هذا العالم لا يجد الوقت للمجىء إلى الله ليتلامس بحنان مع يديه المثقوبتين ولكن بجهل يستهزىء بالرب يسوع وبتعاليمه ويطارد من خلال أعماله الشريرة وحياته الضائعة رجل الأوجاع الوديع حامل خطايا العالم كله .

والسعادة التى يجرى وراءها إنسان هذا العالم لا تعدو أن تكون شقاء مطلى بالذهب ينتهى بفراغ عظيم يملأ حياته ... وهذه هى شكوى إنسان العالم اليوم الذى لا ينقصه شىء مادى .. إنها شكوى الفراغ .

كتب هذا الكتاب كى يساعدنا فى تحويل أنظارنا إلى ربنا يسوع المسيح حينما نجرى فى وسط برية هذه الحياة . ولقدم هذا الكتاب لكى يعرف العالم أن يسوع هو وهو وحده الصديق الدائم الذى يجملونه ، والذى وحده يسد كل حاجاتهم ومطامعهم التى غالباً ما تقودهم إلى الجنون ...

كذلك نقدم هذا الكتاب إلى النفوس المحبة ليسوع ليروى عطشها إليه .

الاب فرنسيس ب . لابيف

(١) لقد فات الأوان

« صالح هو الرب حصنى فى يوم الضيق
وهو يعرف المتوكلين عليه » نا ١ : ٧ .

عندما تحول حياة الخطية جميع جهود الانسان ومواهبه وقوته وشجاعته إلى رماد سوف أتساءل: كيف يكون فى الامكان جمع ذلك الرماد وخلق كائن جديد يستطيع أن يأخذ مكاناً ملائماً ضمن الذين لا يعرفون الخطية ؟!.

هكذا كتبت إحدى الشخصيات التى ذاقت مآسى الحياة وجذبت حياتها الخطية ووقفت على قمة السعين يائسة ، ووقعت على هذه الرسالة باسمها ... « المسكينة سارة » لقد كانت المسكينة سارة تتوصل من أجل النجاة من ظلام ليلها الأعمى ، كانت تتحسس بخوف لعلها تجد شخصاً ما يقودها إلى أشعة شمس الله ، شخصا ما يستطيع أن يزيح السحب التى أظلمت روحها . وبدأت تطلب إلى الله بشفاعة العذراء مريم ملجأ الخطاة ، أن يكون اليوم مثل يوم جديد يأتى ولا تنظر أبداً إلى الوراء ، ولكن كيف يحدث هذا بعد فوات الأوان ؟

هذه المسكينة بحكمها على قلبها الحزين قد فقدت هذا المنقذ

الوحيد ... ألا وهو ثقتها بالله . يا لقلة معرفة « سارة الخاطئة » عن صديقها الدائم ومحبته الثابتة التي لا تنتظر سابق محبتنا . لقد نسيت قصة المجدلية التي كانت حياتها الخاطئة على ألسنة الجميع ، وأصبحت قداستها يكرز بها عبر الأجيال ، لقد نسيت بطرس حينما أنكر سيده بقسم وأقسم انه لا يعرفه على الاطلاق ومع ذلك أصبح فيما بعد رسول سيده والكارز باسمه على الأرض . لقد نسيت المشهد في الجليل عندما نادى ، صديقها الدائم ، وقال : « تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » . فإذا كانت خطاياك مثل القرمز ستبيض كالثلج والصوف الأبيض . نسيت أيضاً يسوع المصلوب وذراعيه الممتدين ونداءه قائلا : « أنا عطشان » . يسوع الإله المتجسد محب النفوس ، عطشان إلى النفوس التي اخطأت فهم الحياة أمثال سارة الخاطئة - إلى النفوس التي تحطمت بعجلة الحياة وتبعت أشباح الثراء ومباهج الحياة وكانت معرضة أن تقول : لقد فات الأوان ...

إن الحياة مملوءة بالمآسي وأعظمها هو هذا النداء « لقد فات الأوان » . ربما تكون قد بددنا حياتنا أو خطا محبة إلهنا لنا ، أو ربما قد سيطرت على حياتنا آلهة كاذبة مؤدية إلى هلاكنا ، أو ربما قد نشرنا الدمار في يقظتنا عندما نندفع بإرادتنا حيثما تنادينا

مباهج الحياة أو محبة السلطة ولكن بالرغم من كل هذا فهو ينادينا كما فعل مع شعبه فى العهد القديم : « أنا الله الصالح أمنح القوة فى وقت الضيق وأعرف الذين يتكلون علىّ لانى أنا كما هو حق فى شيخوختك وأقودك فى كبر سنك ، أنا هو الذى صنعك وسأحملك ، سأحمل وأنقذ » ...

ربما تكون حياتنا مليئة بالأخطار ولكن « بحنان يديه المثقوبتين » سيعيد ما كسر ويداوى الجراح . فالخطيئة الوحيدة التى لا يجب ارتكابها هى هذا النداء المخيف « لقد فات الأوان ».

يا ربى يسوع المسيح المحب لنفسى دون تزعزع إنى أشعر أحياناً أنه لا فائدة فى محاولة جديدة ... كم من مرة حاولت ولكن دون جدوى ! ولكنى أعلم أنه من الخطأ انكار محبتك الدائمة وأعلم أن أبشع خطية أستطيع ارتكابها هى فقد رجائى فيك وبالرغم من كل هذا فإنى أفقده أحياناً . يا ربى يسوع الحبيب من فضلك لا تسمح بهذا ، فبالرغم من شدة ضعف إرادتى وضخامة خطيتى وابتعادى عنك فلا تدعنى أبداً أقول « لقد فات الأوان » ـ بل دعنى أنظر كيف تغرق نعمتك قلبى ـ نعمتك التى فى الضعف تكمل .

† † †

(٢) امنحهم فرصة

«فان كان الله قد اعطاهم الموهبة كما لنا ايضا بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمن انا اقدر ان امنع الله»
اع ١١ : ١٧ .

إن المسجونين الذين أطلق سراحهم يقابلون صعوبات كثيرة لأنه لا يوجد من يعطيهم فرصة أخرى فى الحياة . فبمجرد وقوع إنسان فى جريمة ومجازاته وصدور حكم عليه ، يبدو للكثيرين أنه قد صار موصوماً بالعار طريد المجتمع ومنبوذاً . وهو أيضاً يواجه عالماً قوامه أفراداً يتوقون إلى اسقاط عيوبهم عليه لذلك لا يجد تساهلا من هؤلاء الناس لكى يمنحوه فرصة أخرى .

أما نحن أبناء الله الذين يحثون كل ليلة طالبين المغفرة ، فإننا ننحنى كل أسبوع أمام المذبح للتناول من الأسرار المقدسة فلا يمنعنا الكاهن أبداً ، والله يعطينا وسيعطينا دائماً فرصاً أخرى ، وينزع من قلوبنا هذا الخوف الرهيب حتى لو كثرت خطايانا .

لذلك يجب علينا أن نغفر زلات الآخرين ولا نبغض العفو عنهم . فمثلا عندما يسىء الزوج إلى زوجته يجب ألا ترده خائباً بعد أن شعر بالندم الذى نبع من قلب حزين . وعندما يضل الابن طريقه عمداً كما يفعل أبناء كثيرون يجب على الوالدين الاسراع

فى إنتشاله من وهدة الخطية، ومسح دموع الندم حتى يشعر هؤلاء الأبناء أن لديهم فرصة أخرى، ويشعر الأب والأم بالزهو تجاههم. وكما هو الحال أيضاً بالنسبة للصديق والصديق ، والمعلم والتلميذ والسيد والخادم والمخدوم والمستخدم ... يجب على الجميع أن يتعلموا منح أشقائهم الضعفاء فرصة أخرى - عندما يضل أحدهم طريقه ويندم ندماً حقيقياً بلا رياء .

أحياناً يصبح السماح من الصعب ، وأحيانا يصبح النسيان أصعب. ولكننا نصلى كل يوم قائلين: « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا » إذاً فقد وعدتنا الله فى المغفرة ولدينا هذا القياس الملقن ذاتيا من قبل الله لسماحنا حتى نسرع فى اعطاء الآخرين « فرصة أخرى » .

يا ربى يسوع الحبيب يا غافر الخطايا التى عرفتها قلوبنا يجب أن أحاول حقا بمعونتك اعطاء فرصة للآخرين كما أعطيتنى أنت. فأنت الذى تتألم من أجل أقوالنا وأفعالنا لأنك أنت الإله ، فلماذا إذاً ابغض السماح والنسيان ؟! أنا الذى أتوق إلى عفو ونسيان عيوبى الكثيرة . هل أجرؤ أن أكون أقل احتمالا منك يا إلهى ؟! امنحنى إذاً النعمة حتى أشكل طرقى حسب طرقك وأعطى فرصة أخرى للجميع ! ...

(٣) جهود ضائعة

« وكان يهوذا مسلمه ايضا واقفا معهم »
يو ١٨ : ٥ .

« فانكره (بطرس) قائلا : لست اعرفه
يا امرأة » لو ٢٢ : ٥٧ .

« حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا »
مت ٢٦ : ٥٦ .

« ما الفائدة يا أبتاه !! هل يوجد أمل فى النجاح بعد كل تلك الجهود العظيمة » . هكذا سأل أحد الشبان الكاهن عندما كانا يتناقشان فى آمال السنين الضائعة. لقد عملوا بجهد وكدوا ساهرين وكانت تتشدد خطاهم ببركة الله وتنبىء بثمار الخير من أجل النفوس. ولكن الآخرين سدوا الطريق ، وأحبطوا خطاهم ، وهزوا رؤوسهم آسفين عندما طلبوا منهم العون .

ألم يحدث هذا مع سيدنا عندما رفع رأسه المكللة شوكا عند صلبوته قائلا : « إلهى إلهى لماذا تركتنى » ؟ .

لقد علم سراً الإثنى عشر المختارين لمدة ثلاث سنين طوال ، لقد علمهم دروساً كل يوم وأوضح لهم عمليا ما كان يعلمه شفويا .

وعندما انتهى التعليم الشاق لمدة ثلاث سنوات سلمه أحد تلاميذه المقربين، وانكره آخر، وهربوا جميعا كان عمله المدرسي غير ناجح مائة فى المائة ... ولا عجب فى مناجاة أبيه السماوى أن يريح عنه هذا الكأس !!

هذا الشعور بالجهود الضائعة والاحباط الشديد أحيانا ما نشعر به نحن وربما بعمق . يحرم الآباء أنفسهم من مباهج الحياة ويطلبون فى صلواتهم عند شروق الشمس وغروبها كى ما يصبح أطفالهم أقوياء بالجسد والروح مقربين لله . ولكن يأتى اليوم الذى ينسى فيه الشباب تعاليم السنين المبكرة ويتهللون بالذهاب إلى عالميات طائشة . وهل تقترب الأم أو الأب إلى سيدنا المتألم بعد ذلك طالبين منه أن يهدى قلوبهم الضالة الحزينة ؟ !

يحاول المعلم فى الفصل أن يعد الأطفال لحياة مقبلة مثمرة . وربما بانتهاء الفترة المدرسية يظهر أسفه عندما تظهر الاختبارات الأخيرة - فما شعور المعلم ؟! وماذا عن الإله الذى بعد أن علم تلاميذه ثلاث سنوات يشاهدهم وهم يفشلون فشلا ذريعا ؟! .

ينطبق هذا أيضا على جميع الجهود الأخرى فى الحياة ... فى المجال العملى حيث تجنى الجهود المضنية أرباحا ضئيلة هكذا أيضا بالنسبة للمهن حيث الساعات الطويلة والعمل الدائب والعرفان

الضئيل من اخواننا . وفى حياتنا الاجتماعية حيث تترجم الجهود البريئة لتحسين أنفسنا إلى أطماع غير لائقة .

فى كل تلك الجهود التى تبدو ضائعة - عبر السنين الماضية - يجب الاسراع إلى سيدنا فى خشوع بجانبه فى آلامه، أو الوقوف تحت صليبه. متوسلين إليه من خلال جهوده التى ضيعها التلاميذ أن يقوى قلوبنا لتحمل تجارب هزيمتنا .

يا ربى يسوع الحبيب ما اكثر الطعنات فى قلبك القدوس عندما علقت على الصليب وشاهدت ما كان يبدو للناس حياة ضائعة وخدوعة . كم حاولت استرداد اليهود فاحتقروك ؟! وتسببوا فى صلبك !!! وأنت الذى دربت تلاميذك وعلمتهم يوميا ... فأسلمك واحد !! وأنكرك آخر !! وهربت البقية الباقية خوفا من القبض عليهم معك !! ما أصعب هذا يا سيدى يسوع !! ربى أتضرع إليك بحق آلامك المقدسة أن تتذكر جهودى المعروفة الضائعة ، عندما أضعها بجانب جهودك أنت. كى تقدسها وأصبح قادراً مرة أخرى على مواصلة الجهاد والنضال..

† † †

(٤) سكون الله

« لانه هكذا قال السيد الرب قدوس اسرائيل . بالرجوع والسكون تخلصون بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم »
اش ٣٠ : ١٥ .

ابتعد عن هذا الرجل عن صخب المدينة وشق طريقه جالساً فى سكون قرى الله متأملا الطبيعة والمياه الساكنة وكان يفكر...

فى تلك الارسالية التى كان يجلس بجانب مدخلها ، عاش أتقياء أدوا أعمالهم بهدوء وحضرت لهم نفوسا بهذا الهدوء الشديد راجعة أيضاً مثلما حضرت . بينما يندفع محبو العالم نحو الطريق الضال حيث يناضلون فى مدنها المزدحمة من أجل الذهب والمجد والمتعة والمهرجانات البراقة ، وكأن كل هذا ذا قيمة . ويخيل إليهم أنهم قد أحرزوا نصراً أكبر ! وتعلو الهتافات الصاخبة والمشاحنات القوية ويقولون : لقد عمل هذا الرجل النشط فى العالم ولكن عندما يهدأ الانسان إلى نفسه فى سكون الله يقول : « وماذا بعد هذا الضجيج ؟! » .

إنه من المجدى أن نختلى بأنفسنا هكذا من وقت لآخر كى نختبر نفوسنا فى السكون كما تغنى الشاعر قائلا : « ضجيج العالم

يهوى فى أذنى ... حمداً لله من أجل ضجيج العالم ، . لأنه وسط الضوضاء والاندفاع يذهب بعضنا لكسب عيشه والبعض الآخر يرفع يده لانقاذ البشرية وآخر يحاول تخفيف الآلام - أو بمعنى أصح يناجى نعمة الله كى تحل فى النفوس المتعبة . ولكن يجب الابتعاد عن ضوضاء العالم من وقت لآخر والاختلاء بأنفسنا حتى نقف برهة ونستمع إلى الله وحده .

فنحن نحتاج إلى سكون الله بغض النظر عن مكان عيشنا أو ماهية أعمالنا . أحياناً نستطيع الاختلاء بأنفسنا فنجد السكون حقاً فى الجسد والنفس بعيداً عن روتين الحياة .

يجب إذاً دفع أنفسنا إلى هذا الهدوء الذى سمى بحق (طريق النفس) - ولكن نادراً ما يكون هذا الامتياز من نصيبنا !! ولكننا فى أشد الاحتياج إلى هذه الخلوة التى هى حقاً - مسكن الشجاع . ونحصل على هذه الوحدة وهذا السكون عندما نجثو فى الصلاة ونطرح الحياة بأكملها جانباً ويبقى الله وحده .

عندما تقشعر قلوبنا بمآسى الحياة ، وعندما يقلقنا أحباؤنا بفتورهم وابتعادهم عن الله ، وعندما ينهار صميم الحياة ويبدو العالم كله رأساً على عقب ! .

نلجأ إلى الصلاة بقوة ونجثو عند أقدام الصليب بحرارة، حينئذ نحصل على سكون الله، ونسكن معه وحده، وتنفهم نظرته للأشياء، فنعود للحياة وكلنا نشاط. نواجه مشاكلنا أكثر تحملا وندرك أن ضوضاء الحياة ستنتهي سريعاً ثم تأتي السكينة والسعادة مع الله.

يا ربي يسوع الحبيب واهب العطايا امنحني النعمة كي أسرع إليك دائماً حتى أحصل على راحة من ضجيج هذا العالم. فأنا مضطر للعمل وسط هذه الضوضاء وأعمل وسط ضجيجها بينما يثقل عليّ حمل صلبان الحياة. ولكن يجب أن أتذكر أنه حيثما أكون منفرداً أستطيع أن أجد التعزية والقوة الدائمة وتكاد ضوضاء الحياة أن تبعدني عنك. ولكن لا يجب أن أقع في هذا الشرك. سوف أهرع إلى أحضانك وأتوسل إليك في سكينة وخلوة الصلاة تستطيع أن تمنحني المساعدة التي أنت وحدك مصدرها. وبالأحرى سآتي إليك بمشاكلي وأثقالي في منزلك الأرضي - الكنيسة المقدسة - واسكب لك قلبي بانسحاق في هدوء حضرة سرك الأقدس. فأرجو يا ربي وسيدي الحبيب تحدث معي وأقم قلبي بين سكونك.

† † †

(٥) الاتحاد بالله قوة

« ان كان الله معنا فمن علينا » رو ٨: ٣١

قالت إحدى القديسات منذ سنين « إن ملكت هذه الأربعة جنيهات فهى لا شيء، أما إن ملكتهم والله معى فهم أكثر من الضرورة ». قالت تلك الكلمات عندما اتهمها الناس لأنها كانت تحاول المستحيل. كانت تحاول انشاء دير ولكن الكثير أحبط خطتها ولم يحاول أحد مساعدتها. لقد كانت تملك أربع جنيهات فقط وليس لديها طعام ولكنها تعلمت أن « الاتحاد بالله قوة». ربما لا تتفق خطط الناس مع خطتها ولكن تدابيرها كانت من قبل الله. ولماذا تخشى هدم تدبير الله لخطتها؟ لقد كانت تسهر وتصلى وكانت صامدة ولكن بكل وداعة كما هو الحال بالنسبة للأتقياء عندما يعلمون أن الله مرشدهم. هكذا مضت شهور طويلة وتغيرت قلوب الناس وانتصرت خطط الله.

كثيراً ما نقلق، وأحياناً ربما لا نتذكر الحقيقة الملحة وراء كلمات هذه القديسة، ربما يكون دخلى ضئيلا حقاً. وتتكتل الناس علىّ ولكن لا يهم هذا طالما ناجيت الله وطلبته جانبى.

الآباء يخافون على أولادهم من تيارات العالم التى تحارب

نفوسهم فما العمل وهم منهوكى القوى ، قليلى الخبرة ، غير معتادين على خداع العالم الحديث .

ماذا يفعلون لإنقـــاذ أبنائهم ؟ طبعاً يدبرون ويخططون ويسهرون بتيقظ ولكن بلا جدوى يجب أن يحشوا عند أقدام الصليب طالبين من الله حماية أبنائهم الذين هم أولاده أيضاً .

فى مجـالات العمل يدبر الأشخاص المكرة سحقى وتحطيمى والإيقاع بى فى المشاكل حتى أفقد كل شىء ويصبح المستقبل ظلاماً حقاً وتصبح الزوجة والأولاد فى حاجة إلى رعاية . . . بالطبع امكث ساهراً لكى ارد كيد اللصوص ويبدو أنى لن أنتصر بمفـــردى ولكن ، أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » فباشتراك الله معى سأجاهد بكل قوة وأنتصر .

وكثيراً منا أيضاً لديه خططاً على نطاق كبير أو صغير نعتقد أنها ستفيدنا وتفيد غيرنا ونجاهد بكل عزم ولكن تسير الأمور ضدنا . . . فى البيت أو الفصل ، فى مجتمعنا الصغير أو مؤسساتنا الكبيرة ندرك أن خطتنا المدبرة بإحكام على وشك الانهيار . ماذا إذن ؟! هل نخشى المحظور أو نطلب عون الله لكى يأخذ أعمالنا كلها على عاتقه ؟ بالطبع سنناجيه ونحقق بعد ذلك الفوز لأن لا شىء مستحيل لديه بل كل شىء مستطاع لدى الله .

ربما يبدو حتى فى النهاية أننا لن ننتصر انتصاراً ملحوظاً، ويبدو للناس ولنا أيضاً اننا قد خسرنا الميدان. ولكن هذا ظاهرياً فقط. فالله معنا وحينما تتعارض الظروف معنا اليوم وغداً طبقاً لقصر نظرتنا للأشياء نؤمن أننا قد انتصرنا الانتصار العظيم لأننا نعمل باستقامة وصدق وشجاعة من أجـــل الله لأنه من المستحيل التغلب علىّ والله معى.

يا ربى يسوع الحبيب لقد وجد الكثير تعارضا شديداً فى هذا العالم لما هو صالح حتى أن معظمنا على وشك مغادرة الميدان. فأنت تعلم مدى اجتهادى أحيانا لكى أخدمك وأبقى آخرين على خدمتك، وكيف أحاول إرجاع البعض الآخر إلى محبتك... ولكن أحيانا كثيرة جداً أعتقد أن لدى الأسباب القوية لفشل جهودى. لذلك يا سيدى الحبيب دعنى أتذكر طلب معونتك عندما أشرع فى أى خطة أو أى عمل نافع حتى تكون أنت شريكا لى. لا تدعنى انجرف فى القلق على النتائج، وعندما يثقل الحمل لا تسمح بانشغالى ولكن ثبت تقتى لأن الاتحاد معك يا الله قوة ساحقة.

† † †

(٦) هيبـــة الله

«كنت معك حيثما ذهبت» ٢صم٧ : ٩.

حياة القديس المملوءة بالخشوع والوقار تظهر واضحة فى كل تصرفاته وأيضا عندما يقف فى حضرة الله . ونحن ندرك كل هذا فنقف أمامهم بكل هيبة واحترام لهذه القوة التى بعثت فيهم نطلب صلواتهم وبركاتهم .

هذا هو الحال أيضا لأولاد الله الأتقياء حيثما وجدوا . فى الدير أو فى المنزل ، فى الفصل أو فى المحاضرة ، فى العمل أو فى ساعات الراحة ، فكل كلماتهم وتصرفاتهم وأعمالهم تشير إلى وجود آخر يملك عليهم ويهابونه - بلاشك هو الله الساكن فيهم وهم أيضا فى حضرته بشكل ملحوظ . مع ذلك فهم لا يذكرونه بألسنتهم إذ أنه متحد بهم وتنطبع صفاته وتواضعه فى حياتهم .

هل يوجد فى حياتى هذا الشعور القوى بالهيبة أمام حضرة الله الأزلية ؟! لا داعى لتصنيع هذا الخشوع لأنه لا يلصق من الخارج . بل يجب أن يكون نمواً وديعا وهادئا تنبع جذوره الدفينة من هذا الإدراك الداخلى لعين الله المتيقظة ، ووجوده المطلـــق .

هل فكرى دائما منشغل بدون انقطاع بأن الله موجود فى كل مكان ؟ إذا ذهبت إلى عمق المحيط أجده أمامى ، وإذا تسلقت الجبل لأصل إلى قمته يزداد وجوده معى ، وعندما أمكث بالمنزل هناك يكون معى ، وعندما أذهب إلى الخارج لا اتركه ورائى ، فى السوق أجده وسط نداءات الناس ، وعندما أذهب للترفيه البرىء فى حجرة الرسم أو على شاطىء البحر أو الطريق أجده هناك.

الله موجـــود فى كل مكان وفى كل زمان . عندما تشرق الشمس يكون الله على الأرض ومع من خلقهم ليساعدهم فى أعمالهم ، وفى الظهيرة يشفق الله على الناس وهم فى راحة من أعمالهم ويعطيهم سلاما وهدوءاً (كما استراح هو فى اليوم السابع) . يأتى ظلام الليل على عالم متعب . وكما تراقب الأم أطفالها بحنان وهم نيام ، كذلك الله يعطى أحباءه نوما ، ويغلق الجفون المتعبة على الأعين المتعبة ، ويحرس أطفاله وهم نيام .

الذى يفكر بوجود الله الدائم فى حياته بكل تأكيد هو إنسان وقور ، فلا يغضب الله بتصرفاته بل يتصرف كما يليق بالقديسين ،

لأنه دائما أمام ملك الملوك ورب الأرباب لهذا فهو يتجنب كل خطيئة وفوق ذلك يسلك مسلك النبلاء لأنه متحد بالله .

ويطلق أيضا عليه لقب قديس، لأن القداسة ما هى إلا اتحاد بالله وخشوع فى حضرته

يا إلهى الحبيب كم من مرة حاولت تفسير هذا الخشوع الكامن فى أولادك القديسين عند مقابلتى لهم فأنا أعرف الجواب الآن هو خشوع الحاشية لملكهم !

وأنا أيضا أشتاق أن أكون مثلهم . فأتوسل إليك يا إلهى أن تمنحنى إدراك وجودك المستمر فى كل لحظات حياتى ، وفى كل أعمالى ... كل تصرفاتى وحيثما أكون ... امنحنى هذه النعمة كى أدرك انك يا إلهى أمامى فى كل حين وعن يمينى تنظر إلىّ بدون انقطاع وأنا أيضا أنظر إليك . حينئذ سأكون أنا أيضا قديسا ووقوراً فى حضرتك الدائمة .

(٧) ذكر الماضى

« واذكر أنك كنت عبدا فى مصر ففداك الرب إلهك من هناك » تث ٢٤ ١٨ .

« عندما تدين آخرين ، هل تتذكر أنت مدى بعدك عن مثلك العليا ومدى الهوة التى تفصل بينكما فى الوقت الحالى؟ » . لقد سقط كثيرون ونحن نقول عنهم « كان ينبغى ألا يحدث هذا » وآخرون غير أوفياء للأهداف السامية ونحن نسخر منهم ؟! .

تمعن فى نفسك وراجع ما كان يجب أن تتفوه به وما يجب أن تكون انت عليه - توقف وأنظر . . . عندئذ تنحنى الرأس خجلا وتنبعث كلمات نادمة من فم منسحق « لن أتحدث هكذا فيما بعد » .

فى العهد القديم أوصى الله اليهود أن يكونوا رحماء مترفقين بالعبيد والفقراء ويذكرون احتياجاتهم لماذا ؟! لأنهم هم أنفسهم كانوا تحت وطأة العبودية وذاقوا مرارة الفقر . ثم نزل الله إليهم فى فقرهم وعبوديتهم وأنقذهم . والآن عندما يتذكرون أتعابهم وأحزانهم التى كانوا يعانون منها سوف تسكن الرأفة والرحمة فى قلوبهم من أجل الذين يسلكون طريقاً وعراً وشاقاً .

هكذا أيضاً بالنسبة لنا فإننا لن نقسو على الآخرين عندما نتذكر أنفسنا فى أيام التجارب والشكوك ، فى ساعات أحزاننا وأوقات تعثرنا ، فى مشاكلنا وترددنا وفشلنا وسقوطنا . عندما يفكر الآباء فى نقائصهم فى شبابهم سوف يتحملون بصبر أكبر نقائص صغارهم عندما تلح نداءات الحرية الطائشة على الشباب البراق النشط ، يتذكر الآباء شبابهم ومدى اغراء نداء العالم وازدرائهم لنصائح الأكبر سناً عندئذ سوف يتفهمون تماماً تلك النفوس الملحة التى يجب حكمها وحراستها . من ثم سيصبحون مصدر شفقة لهؤلاء الأبناء الشباب وينقذونهم من مطبات الحياة .

ينطبق هذا أيضاً على المعلم فى الفصل ، عندما يستعيد كآبة حياته كتلميذ صغير ومدى انقباضه عند سماع جرس المدرسة ، وبهجته عند انطلاقه للعب ، حينئذ سوف يتحمل المدرس اضطرابات تلاميذه عندما يبغضون الدراسة مثلما كان عليه تماماً .

كذلك ينطبق الحال بالنسبة للذين يقذفون كلماتهم بوقاحة ، سوف يزول اللوم الشديد من شفاهنا عندما نتذكر أن الكلمات القاسية ستؤدى إلى تمرد أكثر . وعندما يخطىء أحد ويتحاشى الاعتراف ، سوف نذكر الكلمات الرحومة التى قادتنا إلى

الاعتراف ، فلنتذكر فقط سبل قلوبنا الضعيفة ، إذ سيكون من نصيبنا لمسة شفاء عند احتياج الآخرين .

يا ربي يسوع الحبيب ، أريد أن أكون اكثر صبراً مع الآخرين الذين يسيئون إليَّ باسترجاع نقائصي، سأتحمل أتعابهم عند استرجاع أتعابي واللمسة الحنونة التي خففتها . ولكني أسهو وأفقد السيطرة على نفسي، ويتألم الآخرون وتسوء الحالة. ولكن ينبغي التخلص من هذا . امنحني إذاً يا سيدي الحبيب النعمة لكي أتذكر الماضي دائماً فتتحسن الأوضاع .

(٨) لا تستسلم أبداً

« والى الشيخوخة انا هو والى الشيبة انا احمل. قد فعلت وانا ارفع وانا احمل وانجي » اش ٤٦ : ٤ .

« هل تتخلى عنى أبداً يا أبتاه ؟ » نبعت تلك الكلمات من قلب مرعوب من ضعفه ومن فقد القبضة القوية التى كانت تمنعه من الانزلاق المحتم فى وحل الخطيئة التى كانت تحيطه. جاهد الشاب وتاب عن الكثير والفضل للكاهن ، ولكن ثقل الحياة كان أقوى منه . ففى صميم قلبه توجد الرغبة الحقيقية من أجل الخير ، وقد اعتز بصداقة كاهن الله أكثر من أى شىء فى العالم . ومع ذلك فكانت الحياة قاسية للغاية ، وكان الكاهن يعلم ذلك جيداً إذ انبعثت كلماته قوية ورحومة وأكيدة عند مقابلته لهذا الشاب المكافح : « دعك من هذا ، يا ابنى ، حتى أراك فى أمان مع الله ».

وعندما طلب الشاب العون من الكاهن كشف له الكاهن أنه ذاته يناجى الله نفسه : « لا تتخلى عنى أبداً يا الله بالرغم من كثرة خطاياى وسهوى عن محبتك » . وكان الله يجيبه دائماً : « وإلى شيخوختك أنا هو والى الشيبة أنا أحمل . قد فعلت وأنا

أرفع وأنا أحمل وأنجى» ، اذهب يا إبنى حيثما أردت - فأنت ابنى الحبيب - وأكن لك أكثر مما تمكنه الأم ، سأتبعك وأشدك مرة ثانية ، لن أتخلى عنك أبداً يا ابنى .

« هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ، حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك . هوذا على كفى نقشتك» أش٤٩: ١٥، ١٦.

إنه لعزاء عظيم أن ندرك هذا ، ومع ذلك فنحن نتشكك أحياناً فى أوقات القداسة نعتقد بكل ثقة أن الله يحبنا لقداستنا ، ولكن عندما نخطىء مرة أخرى ونغفل عن « الحبيب الهائل » لشعر أنه يكرهنا ، ويبغضنا على عدم ثباتنا وتكراننا الجميل . وفى أثناء ذلك ننسى أن الله يحبنا لأننا ملكه . فهو يريد محبتنا لأننا فقط صنع يديه وثمرة آلامه وموته على الصليب - وليس لأننا نستحق هذه المحبة . وأنه بالطبع يبتهج من أجل أولاده القديسين المنشغلين به دائماً ، ولكن عندما يأتى تمردنا فهو لا يزال يحبنا لأنه أبونا ، ولم يستقبل أبداً أباً متلهفاً ابناً ضالاً مثلما فعل الله تجاه خطواتنا العنيدة ، وبغض النظر عن مكان وجودنا ، أو ضخامة وكثرة خطايانا ، فأبونا لا يزال يحبنا لأنه فقط أبونا « ويريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » .

عندما يحرضنا إبليس ويضعف من عزمنا ويضخم خطايانا المظلمة ويحقر سبلنا العنيدة فلندعو الله ونلجأ إليه من أجل نفوسنا فهو لن يبعد عنا أبداً - إلا أنه ينتظر دائماً نداءنا . فهو ينتظرنا ونعمته الصالحة هي التي أدت إلى هذا النداء أن يذبحنه منا ومتلهفاً على رجوع أولاده كي يعيد سكب محبته لهم مرة ثانية ، لأنه لا يشاء موت الخاطىء مثلما يرجع ويحيا نفسه » .

يا ربي يسوع الحبيب ، انه لعزاء كبير لقلبي الضعيف عندما أعلم انك صديق الدائم . وبمرور الأيام تتغير طباعي ، وأعتزم المحاولة يوماً وأحاول فعلا ، وعند اشراق اليوم التالي يتبخر كل هذا ... وتأتي النقائص العديدة ، وربما الخطيئة ، تصبح نفسي بعد ذلك مملوءة خوفا من فقد حبيبها إلى الأبد إذ يكون قد تعب من هذه الطرق الطفولية المتعمدة ولكن يا ربي يسوع الحبيب في تلك اللحظات المخيفة ، عند إدراك خطاياي المتعمدة فلتذكرني دائماً لأنك لا زلت تحبني وتريد توبتي والرجوع إليك ثانية . ومن أجل نفسي في ساعات الظلام فلتجعلي أتذكر دائما وعودك الصادقة الأمينة وهذه الحقيقة الواحدة وهي أنك لن تتخلى عني أبداً .

† † †

(٩) كيف نتحدث عن الله

« ... نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله » اع ٢ : ١١ .

« بينما كان التلاميذ مجتمعين معا بنفس واحدة ، صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة ، ونزل الروح القدس بشكل ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم » . لقد كان التلاميذ مجموعة من الناس : فقراء وبسطاء وخائفين من اليهود ، فامتلأ الجميع من الروح القدس الذى حولهم إلى كارزين ملوئين شجاعة من أجل كلمة الله .

امتلأت أورشليم بالرجال والنساء من جميع أنحاء العالم المعروف ، أناس غرباء من الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وسمعوا بطرس والرسل الآخرين يتحدثون بلغاتهم ، واستقوا البشارة المفرحة العظيمة وهى التوبة وفداء الجميع .. فقد ولدت الكنيسة فى هذا اليوم العظيم . وبدأ بطرس والرسل يتحدثون للجموع بلغاتهم عن أعمال الله العجيبة ، وهكذا انتشرت كلمة الرب بسرعة لتأتى بكل نفس لمعرفة الله ومحبته وخدمته . ما أعظمه درس لنا أجمعين ، كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته على انفراد . إنه ليس بكافيا أن نوصف الله ، ونحدث الناس

عنه ، ولكن يجب أن نتحدث عن الله بلغة الناس وبطريقتهم . يجب البحث عن أفكار الناس ، وطرقهم وميولهم ، ونقدم لهم الله ومحبته بالطريقة التي تناسبهم . فهو أزلي وتستطيع جاذبيته اللانهائية جذب كل قلب ، بالرغم من بعد رغباته وعاداته .

ولكن توجد لغة واحدة يفهمها الجميع هي لغة الأعمال ، فإذا تحدثنا عن الله بسلوكنا وأعمالنا فسنردهم إليه . فيجب مواساة الحزانى ولمس نفوسهم بحنان ، مثلما تفعل الأم حتى ترتفع رؤوسهم مرة أخرى لتشاهد الله بأني الخطاة وغبار الحياة قد ملأ نفوسهم ، فيجب علينا إذاً الاشفاق عليهم كي نساعدهم حتى لاينزلقوا مرة أخرى ، بل يتسلقوا الدرجات متوجهين إلى عرش الله ومبتعدين عن وادي الدموع . يجب الحنو بصبر لا نهاية له على المتكبرين والمتمردين الذين يقذفون الله في ضيقاتهم ، ولا نستسلم لردودهم القاسية وعتاباتهم ، فهم سيتعلمون يوما كراهية اعوجاجهم وستتغير نظرتهم إلى الله الرحوم الذي أرسل لهم صديقا كهذا .

إنه لمن المستحب التحدث عن الله ، ولكن أعلى حديث هو معايشة طرقه من خلال حياتنا حتى نتحدث عن أعماله العجيبة . فالنداء المرتفع الوحيد الذي يجذب كل نفس بشرية في المنزل ، أو في العمل ، أو أثناء اللعب ، أو في المدرسة ، أو في الحياة

العامة هو هذا الصوت الفصيح الذى يشير إلى حياة الانسان التى يقودها الله. عندئذ سيفهمنا الآخرين إذ أننا نتحدث لكل واحد منهم بلغته هو .

يا ربى يسوع الحبيب ، إن أقرب شىء إلى قلبى هى تلك الرغبة القوية فى احضار النفوس إليك . وأحيانا أبغى التحدث بكل فصاحة عنك إما بالكتابة أو التحدث، حتى أجذب نفوسا أنت عطشان إليها ، ولكن هذا ليس من المستطاع دائما . دعنى أتعلم هذا الدرس الحيوى ألا وهو التحدث عنك بالطريقة التى أستطيعها دائما ، والتى يستطيعون فهمها . دعنى أنمو حتى أكون شريكا لك - وأقول هذا بكل خشوع - حتى يعرفوك برؤيتهم لى ، وأكون رسالتك المقروءة من جميع الناس ، ونور وملح للعالم كله. هكذا سأتحدث إليهم بكل إقناع وبلغاتهم عن الأعمال المستقيمة وعن عظمة محبتك وأعمالك العجيبة .

† † †

(١٠) إلى أين ؟!

تذكر أيها الإنسان انك تراب وإلى تراب تعود . تمتلىء الكنيسة المقدسة بالأغنياء والفقراء ، بالشباب والشيوخ . إنه خليط عجيب دائما يتجمع حول مذبح الله .

والكنيسة الأم بردائها الوقور - أمام المذبح ، تنادى أولادها من وسط الأمور الزائلة وآلام العالم الشديدة - تنادى أولادها باصرار رقيق وشاف لكيما يتبصر أولادها فى واقع الحياة بأعين مستقيمة متفهمين أمرها لكيما تبعث فى أولادها بحياة كلها روية واتزان... وعند انحناء كل رأس ورفع كل يد للصلاة تبصم الكنيسة كل جبهة بعلامة الموت ، قائلة لكل واحد « تذكر أيها الإنسان انك تراب وإلى تراب تعود » .

ما أعظم بركة هذه الأم الواعية التى لا تغفل أن تعلمنا عن مصدرنا الوضيع ونهايتنا الحقيرة ، حتى لا يلتهم الكبرياء قلوبنا أو تحطمها الأحزان . ففى مستهل حياة الشاب تبدو الحياة وكأنها أزلية مليئة بثقة متناهية ، ثم تأخذ الكنيسة هذه اليد التى كانت تفيض شراهة على الملذات الزائلة . وتذكرها بهذه الساعة الأخيرة التى لا يهرب منها أحد .

✝ وتهمس الكنيسة بتلك الساعة الرهيبة لذوى الخبرة والكفاءة وهم فى أوج مجدهم لكى يزيحوا عنهم أثقال الحياة بشجاعة

† وتتحدث للفقراء عن الأيام المقبلة حتى يمتلكون ثراء الله الذى لا حد له ، إذ يمتلكونه بوفرة أكبر عند تكريس ساعات العوز فى هذا الوادى - وادى الدموع.

† وتتحدث للأغنياء عن الأكفان بدلا من الحلى ، وعن الدود الذى يزحف على الألسن التى ذاقت أشهى الأطعمـــة ، والأعين التى لم تحرم على نفسها شيئاً .

وبالرغم من الحائط الرقيق الذى يفصل بيننا وبين الموت ، فإننا دائماً لسهو عن هذه الحقيقة ... « إننا من تراب » ... نجد أنفسنا أقوياء مملوئين شجاعة يوما ، واليوم التالى غير قادرين على مساعدة أنفسنا فى شىء ، لأن المرض هجم علينا فجأة . فى يوم نذهب إلى أعمالنا ، واليوم التالى مقيدين فى أسرة الألم ... وبالرغم من هذا فنى عنفوان صحتنا نفرد أجنحتنا وكأن هذه القوة لن تزول أبداً ـ هذه هى قصة حياتنا المتقلبة لذا ترفع الكنيسة الأم يدها محذرة تنبه أطفالها المستهترين ، المتغافلين ، المتهاونين بأن الموت ليس ببعيد.

يا ربى يسوع الحبيب ، ما أعظم شرورى ...

فالموت يحصرنى من كل جانب وأنا غافل عنه ، فبالأمس تركنى صديق واليوم تركنى آخر ، ومع ذلك فلم يطرأ بذهنى اننى ربما أذهب غداً . لذلك أشكرك يا إلهى الحبيب لأنك تذكرنى بكل وضوح وصراحة أننى تراب وسأعود إليه حتما يوما ما .

(١١) صراحتنا مع الله

« واجتمع الرسل الى يسوع واخبروه بكل شيء كل ما فعلوا وكل ما علموا »
مر ٦ : ٣٠ .

منذ سنين طويلة كنا فى طفولتنا نجرى إلى أمهاتنا لنخبرهن بما حدث لنا . وبمرور السنين أصبح الأصدقاء هم مركز ثقتنا ، فنسكب فى آذانهم القصص المتكررة لأحزاننا وآلامنا . وتزداد أفراحنا بمشاركتهم لنا وتخف آلامنا عند معرفتهم إياها .

هكذا عاد الرسل إلى ربنا يسوع بعد الرحلة التبشيرية الأولى فقد أرسلهم ليبشروا الناس بمجيئه ، وقد ذهبوا ورجعوا ليخبروه بكل شيء . وكان بطرس هناك وأيضاً يوحنا ويعقوب وباقى الاثنى عشر . كل واحد يقص له باهتمام ما فعل وما قال وكيف استمع الناس لتبشيره . لقد تحدثوا بتهور واستمع السيد إلى قصصهم بحنان ورأفة ... يجب علينا أيضاً أن نتعلم ونعمل مثلهم ونحدث الرب يسوع بكل شيء مهما كان . أحياناً تنزلق الكلمات على ألسنتنا ويصبح من السهل التحدث فى حضرته . ونسر بذلك لأنه يبتسم لنا ، فهو يعلم طفولة قلوبنا ... كيف أنها تنفجر سعادة من أجل الأشياء البسيطة التى تمر وتزول . وأحياناً تتعثر حياتنا

ونقف مرتعدين لما تخفيه لنا الساعة المقبلة ، ونجد من الصعوبة صعب خطواتنا المثقلة لنقول له كلمة واحدة ... « ولكن هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا ضرب فيجبرنا » هو٦: ١. إذ أننا بكل تأكيد محتاجون إلى الشفاء ، سنجثو أمامه بتوسل ، صامتين بآلامنا أو بالمخاوف التي تحيطنا . . . حينئذ سيمد يديه الطاهرتين ويلمس بها نفوسنا فيجعلها قوية مرة أخرى حتى تجاهد من جديد .

يا ربي يسوع الحبيب، أنت تعلم طبائع القلب البشري الغريبة المتقلبة. فأنت الذي خلقته وتعرف طبائعه جيداً ، وتعلم أننا إذا ابتغينا النجاة فلابد من كشف حالنا أمامك . أنه من السهل جداً أن نسرع إلى حضرتك المقدسة ونتحدث عن مباهجنا التافهة وأحزاننا ، ولكن أحياناً نجده من الصعب جداً لأن الآلام التي أرسلتها ثقيلة جداً ، وتبدو كأنك بعيداً جداً . لكن امنحنا ياسيدنا الحبيب أن نلجأ إليك دائماً ونتحدث بكل شيء مهما كانه مفرحاً أو محزناً بكل صراحة لننال الشفاء والفرح الروحي .

✝ ✝ ✝

(١٢) الحنان الخفى

«وانا درجت افرايم معسكا اياهم باذرعهم فلم يعرفوا انى شفيتهم» هو ١١: ٣.

من إحدى المفاجآت السارة التى نكتشفها فى حياتنا عندما نصل إلى مرحلة البلوغ، هى تلك الآثار الخفية لعناية واهتمام الآباء. كانت تلك الأشياء فى ذلك الحين أمراً مفروضـــاً عليهم، فمن الطبيعى مراعاة الأم احتياجاتنا البسيطة، وتلطيف آلامنا الطفيفة. كذلك كان من المفروض أن الأب هو المعطى السخى لأفضل الهدايا. ولكن بمرور الزمن اكتشفنا طرق محبتهم كلها ... إذ تحنى كل يوم حناناً جديداً، فعندما نتمعن فى أمور الحياة وتظهر جميع التضحيات ... تظهر تضحيات الأم وحرمانها من مباهج عديدة، نكتشف الساعات المكرسة عند انتظارنا بالبيت، أو عند جلوسها بجانبنا مخففة من آلامنا مضحية بنفسها لإسعادنا. ونعلم أيضاً تضحيات الأب العظيمة حتى يصير أطفاله أفضل منه، كى يتمتعوا بثراء العقل والبدن التى تمنحها الحياة ويملأهم بالإيمان الراسخ. هذا الكنز الثمين الذى يتركه لهم. هكذا عندما نصل إلى السماء نجد أن إحدى المفاجآت العظيمة التى كانت على الأرض. هو أن الله كان يكرر مساعدته لنا بغير علمنا. هذا الهـــدوء الهائل والمفاجآت العظيمة سنكتشفها فى الأبدية، وهكذا عندما ندرك

الآن هذه الأمور ستبقى قلوبنا من أجل محبته لنا . لكن لماذا ننتظر السماء ؟! لماذا نجثو أمامه هنا ونتذكر أيامنا الماضية كي نختبر حنان الله ؟! ستظهر المباهج مبعث سرورنا ، ونعلم السبب الذي من أجله أرسلها الله . وأحياناً تقع ظلال في طريقنا ويبدو الظلام في حياتنا ، ولكننا سرعان ما ندرك الآن بكل وضوح أن تلك الظلال أرسلت بسماح من الله لحمايتنا من شهوات العالم . فأحياناً يفاجأ ينتقل لنا صديق في الوقت الذي نكون فيه قد أدركنا قيمة صداقتنا ، وكان من القسوة علينا أن نقبل وجهه قبلة الوداع الأخير ، لكن بتعزيات الله لنا ، أصبحنا ندرك معنى الموت وأدركنا أن صديقنا الآن جاثياً أمام عرش الله . لذا يجب تذكر الماضي من ساعة إلى أخرى ، ومن يوم إلى آخر ونلتقط من هنا وهناك صدق حنان الله الغير ملحوظ الطويل الأمد .

يا ربي يسوع الحبيب ، لقد مرت الحياة وأنا مثل طفل غير مدرك ، فأخذت كل ما أرسلته لي ونادراً ما شكرتك بخشوع . وحزنت على ما فقدت أو ما أخذ مني متضايقاً من كل شيء . ولكني أدرك الآن وبوضوح أكثر هذه العناية الحانية الغير متكلمة التي كانت تحمي جميع أيام حياتي .

يا ربي يسوع الحبيب ، اجعلني في كل يوم يمر أدرك حنانك بوضوح أكثر ، وبالرغم من معرفتي الضئيلة أشكرك من كل قلبي لأجل حنانك الخفي .

(١٣) نفـــوذنا

« ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف » خر١: ٨

كان فرعون صديقاً مخلصاً لليهود ، لأن يوسف كان صديقاً مخلصا لفرعون ، وأخبره كيف تقضى سنين الثراء على سنين القحط عندما كانت المجاعة توشك أن تحل وتنتشر وتحدث تمرد . بعد ذلك توفى فرعون ، وكذلك يوسف . ولسنين طويلة كان يذكر البيت الملكى هذه الصداقة وكثر عدد اليهود وأصبح يخشى من قوتهم ، وحدث تغيراً عظيما وحكمت ملوك غرباء جدد ، ولم تصبح اسرائيل فى المقدمة لأن نفوذها قد انتهى ، وأشرف أسياد قساة على الشعب وجعلوا حياتهم كئيبة وأعمالهم شاقة فى الطين والطوب وثقلوا عليهم بجميع أنواع الأعمال الأرضية .

تحل مسائل عديدة فى الحياة بكل أسف عن طريق النفوذ ، ويقع النفوذ فى دائرة ذوى المراكز العالية عندما يشيرون إلى أمثالهم لمساعدة صديق . هنا يرغبون وظيفة ، وهناك يريدون التراخى بالمدرسة والبحث عن عفو من عمل كريه . فالكل يسهر على مايرام طالما يستمر نفوذنا ، ولكن ما أشد قلقنا من سقوط هؤلاء الذين يساعدوننا ، أو استبدالهم بغيرنا .

هذا هو الطريق البغيض للحياة اليومية. ولكن شكراً لله على الشئون الهامة فى نفوسنا. فلن يأتى وقت يستطيع فيه ملك أرضى أن يشرف فيه علينا ، فملكنا هو المسيح سيدنا - الذى فيه تقع دائرة نفوذنا وعنده نجد دائماً استماعا حانياً . لن يأتى الوقت الذى نكون فيه قلقين على مساعدتنا إلا فى ذلك اليوم الذى يفاجئنا فيه الموت ونحن فى الخطية. إذا حفظنا وصاياه وحاولنا ارضاءه سيصبح بالطبع التجاؤنا إليه كل يوم ترحاباً منه لنا . وبالرغم من خطايانا وعدم طاعتنا له فهو لا يزال يريد رجوعنا حتى لا يسكب دمه الكريم هباء . لستطيع أن نذهب إليه فى أيام قداستنا وهو يعضد صلواتنا ، ولكن فى ســـاعة الخطية لا يزال يرفع يديه المثقوبتين طالباً الغفران من أبيه السماوى « يا أبتاه أغفر لهم » لأنه ساكن دائما لمغفرة خطايانا .

لن نضطرب بعد ذلك من أن يأخذ الآخرون مراكزنا، أو يضعفون نفوذنا معه . فمهما كان عـدد الذين يذهبون إليه فعندما نذهب نحن إليه سيستمع إلينا وكأنه لا يوجد سوانا يود مساعدته. فاهتماماتنا وأتعابنا هو يحملها عنا ، ويستمع إلينا عندما نتوسل إليه ، وكأنه لم يطلب أحد المساعدة سوانا ويرحب بنا بحفاوة ونوال كل اهتمامه .

يارب يسوع الحبيب ما أعظم سعادتى عندما أعلم أن نفوذى معك لن يتغير أبداً ولن يأخذه منى أحد . أما بالنسبة للناس فالأمر يختلف إذا راقب نفوذى معهم بكل عناية وغيرة ... كل هذا لأن سلطتهم ضعيفة أما سلطتك أنت يا إلهى فهى لا نهائية ورغبتك فى إنقاذ نفسى حقيقية جداً حتى أعلم أنى أستطيع دائما الاعتماد عليك مهما حدث . يا سيدى الحبيب أشكرك من كل قلبى لأجل نفوذى الدائم معك .

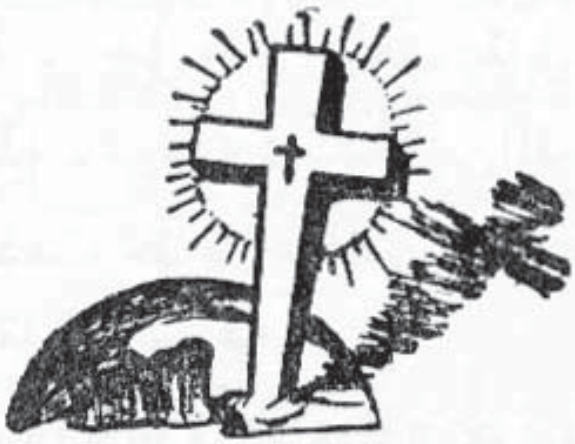

(١٤) فارغ اليدين

« الحق الحق اقول لكم ان كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم » يو ١٦: ٢٣ .

« فارغ اليدين أذهب وفارغ اليدين أعود » تكلم بهذه الكلمات أحد الرهبان عندما طلب منه القديس برنارد أن يذهب إلى السوق لشراء بعض الملح - وعندما تخوف الراهب من عدم وجود ملح قال له برنارد « يوجد من هو فوق من يمسك بمذودى (أى يدبر كل أمورى المادية) » . ومع ذلك تذمر الراهب ولكن من أجل الطاعة ذهب ، ومكث طول الطريق الطويل متمتما ... لكن الله الصالح - من أجل صلاحه ومن أجل ثقة القديس برنارد فيه - جعل هذا الراهب يقابل أحد القسوس بجانب القرية ويعطيه - من ذاته - مكيالا من الملح ونقوداً كثيرة لشراء طعام. لقد ذهب حقا فارغ اليدين ولكنه لم يرجع هكذا لأن الله نظر إلى ثقة القديس فيه .

كم من مرة فشلنا لأننا لم نثق الثقة الكافية فى ربنا يسوع ؟! وإن ما نعتبره أحيانا فشلا ذريعا يتطلب منا إيمانا عظيما لكى نقرأ فيه النجاح بمساعدة الله . وعندما نسير باستقامة فى أماكن مظلمة وحجرية ، يجب علينا أن نشعر أن هذا الطريق سيكون

عهداً ونيراً من أجل مساعدة، الله وابتسامته الجذابة. وعلى كل حال ... أليست هذه هى قصة النفوس التى كتبت سيرتها العظيمة عبر التاريخ فى العالم أجمع ؟ .

إنه لم يوجد فى التاريخ أظلم من تلك الليلة التى انتهت بأول جمعة عظيمة . ومع ذلك فى فجر القيامة مهد القبر المظلم إلى طريق بهاء السماء . لم تحرب نفس مثلما حدث لبولس الرسول العظيم ومطاردته من مدينة لأخرى ، جلدوه ، رجموه ، وضعوه فى السجن ، ومع ذلك فقد أرعد صوته عبر الأجيال - وعن طريقه آمنت الملايين بالسيد المسيح لأن ثقة بولس لم تتزعزع . كذلك لم تكن السحب أكثر ظلاماً أو البروق أكثر اشتعالا فى بطون الأرض مثلما كانت روما عندما كانت تزدحم «بالشهداء المسيحيين» ، ومع ذلك فقد انتشرت الكنيسة من روما ، ودفعت نفوس كثيرة من كل بلاد العالم ضرائب باهظة من دمها ومالهـــا وأولادها لأجل المسيح رب المجد .

كثيراً ما لسير فارغى اليدين فى وادى الدموع هذا :

فارغين من المحبة التى يجب أن تعود لنا من أقرب الناس إلينا.

فارغين من ذلك النفوذ الذى نستحقه والذى أخذ منا بسوء تصرف أو بالحيل .

ربما فارغين حتى من حصول أشياء هذا العالم الذى لا يستطيع اعطاء سعادة دائمة ولكننا نحتاج إليه لبقاء الجسد .

ربما فارغين من سلام العقل الذى تبتغيه كل نفس حتى أنها تضحى بكل شىء من أجله.

ولكن لماذا هذا التجرد ؟!

† ألم يستطع الله الذى أمطر المن من السماء لإشباع الجـــوع الجائعة أشباعنا ؟!

† ألم يستطع الله إرجاع الضالين مثلما فعل مع الإبن الضال ؟!

† ألم يستطع الله استخدامنا لكى نؤدى عمله كما يريد بالرغم من قيودنا وضعف صحتنا ؟!

† ألم يستطع الله اعطاءنا سلام العقل والقلب الذى لا يستطيع العالم اعطاءه أو أخذه ؟!

هل يستطيع ؟!

للإجابة على ذلك اقرأ حياة القديسين الذين رحلوا وانتقلوا إلى أحضان الله ، واستمع كذلك إلى حياة الذين يعيشون معك الآن ، وتأمل كيف أن الله تدخل فى حياتهم بكل وضوح عندما نفذ كل رجاء .

يا ربي يسوع المسيح إنه لمن الصعب جداً أن أفقد الثقة فيك. وبالطبع أنا أعلم انه لمن الخطأ أن أفكر فى فراغ يدى لأن قوتك وإرادتك هما فى ملء هاتين اليدين. ولكن عندما يسوء كل شيء وتبدو الحياة وكأنها انقلبت، ويبدو ظلام الهاوية وكأنه يحيطنى من كل جانب، فمن الصعب بعد كل هذا أن أمد يدى وأطلب العون منك يا إلهى أنا أعلم أنك هناك بلاشك ولكننى لا أستطيع الرؤيا من خلال ظلامى ... يا ربى يسوع الحبيب أنر عينى لكى أراك . أو على الأقل ألمس هدب ثوبك النورانى لتؤكد لى مرة أخرى أنك بالقرب منى فتنمو ثقتى ولا أبقى فارغ اليدين .

(١٥) غضب الله

« اما شعبى فقد نسينى ايامًا بلا عدد »
أر ٢ : ٣٢ .

« أخطأت يا أبتاه لأننى اغضبتك بعد كل هذه الرأفة التى أظهرتها لى ، حنانك يؤلمنى ويخجلنى ، ... تلك هى الكلمات التى انبعثت من نفس نادمة تحاول إصلاح نفسها ومع ذلك انزلقت مرة ثانية . اعترفت مراراً كثيرة بثقل خطاياها للأب الكاهن فلم تسمع منه أى توبيخ أو كلمة قاسية ولكن كل تشجيع وحث رقيق على ترك الخطية ومحبة الله وحده . لقد تمسكت بمثل عليا وكان الكاهن يتوقع لها حياة أفضل وإذ بها تنزلق وتسقط فى الخطية مرة أخرى . لقد نفذت فكرة خانقة لهذه النفس القلقة وهى : « أغضبت يسوع الذى لمس نفسى بكل حنان وخدعته ، نفذ ذلك الإدراك بعمق إلى تلك النفس المرتعدة بأنها مصدر غضب الله .

وكذلك بالنسبة لى عندما أفشل فى الحياة وتضيع آمال الذين جاهدوا بكل اخلاص من أجلى ، وعندما أدرك أن كل جهودهم فشلت تتدلى رأسى خجلا وقلبى يهبط فى نفسى . مع أنى أغضبت إنساناً بذل جهوداً عظيمة إلا أنها كانت زائلة . لكن فكر ماذا يحدث عندما نقف أمام محاكمة الله ، وتعلم أنك كنت مصدر غضب

الله ؟! لقد مرت السنون وفات الوقت . وفجأة سأقف أمامه الدينونة الأخيرة وأجد نفسى مصدر غضبه . . . لقد خطط الله وجودى منذ الأزل وشكل القرون والشعوب من أجل مجيئى ، لقد خلق النجوم لاعطائى البهجة وجعل الشمس بالنهار والقمر بالليل لإضاءة طرقى . وفى خلال الأزمنة وضع من أجلى وبطول أناة بساط الأرض الأخضر ، وبنى الجبال الشامقة ، وشكل من أجلى شلالات المياه الهائلة ، وأثار من أجلى بأصبعه مجارى المياه .. كل ذلك عمل حتى أتعلم معرفته ومحبته وخدمته من كل قلبى. كل هذا كان أقل جداً مما أعطاه لى من رأفة عندما وضع الانسان على الأرض سابقا ، أعطاه خيرات فياضة لتبقى لى . ولكن لم يصونها آدم إذ أبعد عنه وعن أولاده نعمة الله ، ولكن الله من أجل محبته استردها لنا - ويحكى صليبه القصة كلها ... بناء على هذا أستطيع قراءة محبته ، وبدمه أستطيع مجاء توسله من أجل استمالة قلبى . أرى بيت لحم ثانية وفقرها الذى يجعلنى أبغض الثراء العالمى . وأرى مشاق الناصرة وفراغها فأتعلم تجنب الفراغ والخطايا الناتجة منه ؟! وتبرز مصر من الظلام وتحذرنى من طموح فى امكانه ابعاد الله نفسه حتى لا تقتل حياة طفولتى . وأنظر مرة ثالثة واقرأ بشاعة الخطية من خلال اليدين والرجلين المثقوبتين والجنب المطعون بالحربة - ومنها أرى قيمة الألم لعلاج نفسى وخلاصها . وبطول أناة ورأفة

لا نهائية حاول ربنا يسوع استرداد الحياة الطاهرة والقداسة المتناهية كما يتناسب مع مجالى فى الحياة . كانت نعمته تقرع قلبى بقدوم يوم جديد ، وتناديني باصرار فى الصباح ووقت الظهر والمساء . كل هذا لكى أحبه وأعرفه وأخدمه جيداً . إنى أتألم من اغضاب إلسان زائل، فكم يكون مدى خجلى عندما أقف أمام صديق الدائم وأسمعه قائلا : « إنى كنت مصدر غضبه » .

يا ربى يسوع الحبيب ، لا يؤلمنى شىء غير أن أكون مصدر غضب لانناس أنفقوا حياتهم من أجلى- ومع كل - لا مجال للمقارنة بين ما أداه أى إنسان لى وما أديته أنت يا إلهى لقد وضعت فىّ آمالا عظيمة حتى أصبح قديساً وأحبك كثيراً وأخدمك جيداً. ما قلت لى عن هذه الآمال، وحلت نعمتك فىّ بغزارة كى تساعدنى على الحياة طبقاً لآمالك . ولكنى أعلم من قلبى أننى لست القديس الذى تريده أنت . ولكن يجب أن أكون قديساً . يارب يسوع الحبيب كما أنك قدوس، فقد فعلت الكثير من أجلى وبطول أناة ورأفة وباصرار أيضا عندما كنت أنا على وشك التخلى عن جميع المثل التى غرستها فىّ. أعطنى فقط قلبا قويا وشجاعا ، وامنحنى من نعمتك الفياضة، ولا تدعنى أقف أمامك أبداً وأنا مصدر غضب لك.

† † †

(١٦) إنه يفهم

« لايعمى القلب بينما من كل تلك الاشياء
وهو يفهم كل قلب » جا ١٦: ٢٠ .

سألت الأخت أختها الطائشة : « لماذا تحتفظى بصورة السيد المسيح على الحائط ؟! » وقد كانت هذه النفس الطائشة قد تركت أطفالها الصغار وزوجها الذى ربطت مصيرها به ، وابتعدت عن حياة القداسة التى كانت عليها فى صباها وأجابت أختها برأس منكسة وقلب منسحق « أنه يفهم » ـ أى الله يفهم !

لقد أحست تلك النفس بأن فى إمكانها التماس الأعذار ، وحدثها إيمانها أن الله يستطيع أن يقبل اعذارها ويسامحها . وتأكدت بعقلها المظلم وإرادتها الضعيفة أن يسوع يفهم كل شىء عن اعذارها ـ وكانت على حق. فالخطية هى أبشع الأمور ويجب الخوف منها . ولكن عند التعامل مع الآخرين فلنحاول رؤية الأشياء بعين الله . لا نستطيع مغفرة الأعمال الخاطئة ، أو تبرير الخطية ـ ولكننا نستطيع التبصر فى حياة الآخرين من خلال ظلام الخطية ونلتمس لهم الأعذار برأفة ، ونكتشف أن هذا الوميض الضئيل من الأشتياق للقداسة لايزال حياً فيهم . وعندما تزيل الصدأ من على حياتهم ستصبح ساطعة . عندما تجذب كل من مباهج الحياة والنضوج شبابنا ، علينا أن نشفق على تلك الأيادى

الجاهلة المدمرة ونساعدها حتى تبنى نفسها من جديد وباستقامة ، وذلك بالرغم من شدة أسفنا على الدمار الذى أصابها من طول الوقت.

هكذا يريدنا السيد المسيح أن نتعلم ونعمل ...

الآب مع ابنه ، الزوج مع زوجته ، الصديق مع الصديق ، والذين يساعدون كل من يرغب الراحة ...

«هو يفهم» يجب أن يكون هذا الشعار الحافز فى داخلنا ، ويجب علينا نحن أيضاً أن نفهم كما يفهم هو . فلذلك يجب استعمال القسوة مع الحزم ، الحنان مع الشدة أى أحياناً نجرح ثم نكوى من أجل شفاء النفس ، وعندما نجرح نكون مثل الطبيب الذى يجرح ليزيل الألم.

لو أننا لم نفهم لاضطربت موازين الحياة . فتعم الفوضى فى المدارس ، والمنازل والأعمال ...

ليتنا ننظر بعمق لنرى حياة كل فرد بما فيها من ماض مشحون بالهموم ، وحاضر متراكم عليه الأثقال والتجارب ، عند ذلك لن نجد مجالا للتوبيخ أو اللوم .

يا ربى يسوع الحبيب ، ما أعظم احتياجى للتعلم منك كيف أعامل أقرانى !!! وجود الخطية بكثرة حولنا ووجود كل ماهو كئيب ومتعمد يجعلنى دائماً على وشك التعنيف والتنديد ولكن يحدث كل هذا لأنى لا أفهم . أنت أيضاً يا إلهى عنفت ولكن للمرائين والذين يدعون القداسة ولكن لم يحدث أنك ضجرت من الضعفاء الذين يحاولون تحسين أنفسهم ولو بضعف . امنحنى يا سيدى النعمة كى أفهم حتى أعيد النفوس إليك .

الناشـــر

المراسلات : ص ب ١٧
الابراهيمية - اسكندرية